الأسلوب الانزياحي وافتتان العبارة في قصيدة "الكون ضاق بكل حكم جائر" لعبد الكريم العقون

The stylistic deviation and charm word in the poem : The universe is fed up with every unjust king

نبيل حويلي[1]،

[1] أستاذ التعليم العالي، جامعة الجزائر 2 ، nabil.haouili@gmail.com

الاستلام: 01 – 02 – 2024 القبول: 01– 04– 2024

ملخص:

لقد أفرزت مجازر الثامن مايو 1945 قريحة الشعراء وحبر الأدباء، لما كان من فاجعة سبّبها العدو الفرنسي الغاشم الذي لم يفهم لغة السّلم، بعدما خرج الجزائريون يهتفون بالنصر القريب على إثر انتهاء الحرب العالمية الثانية. وما إن خرجوا للاحتفال مثلهم مثال شعوب العالم بأسره حتّى شنّ الاستعمار رصاصه مسقطا عشرات الآلاف من الأبرياء وذاقوا طعم الدّماء والدّمار، فوقف الشاعر الجزائري مخلّدا هذه الذكرى المؤلمة من تاريخ الجزائر النضالي، وعلى رأسهم الشاعر الشهيد "عبد الكريم العقون"، الذي أجاد الوصف وعبّر عن هذه المجازر بكلّ أحاسيسه. وسنسعى في مداخلتنا هذه الوقوف عند آليات الانزياح وافتتان العبارة في قصيدته "الكون ضاق بكل حكم جائر" التي كتبها على إثر هذه المجازر الشنعاء بجريدة البصائر العدد 155 سنة 1951. وذلك من خلال دراسة شواهد وعينات من قصيدته ويكون ذلك على ثلاثة مستويات انزياحية هي: الاستعارة كمظهر من مظاهر الانزياح والتركيز على شقها البياني المختلف عن الرؤية القديمة، وكذا التشبيه كمظهر من مظاهر الانزياح وأخيرا الكناية كمظهر من مظاهر الانزياح.

كلمات مفتاحية: الجزائر، الاستعمار الفرنسي، مجازر الثامن مايو، الحرية، الانزياح الأسلوبي.

[1] **المؤلف المراسل: نبيل حويلي، الإيميل:** nabil.haouili@gmail.com

Abstract:

The events of May 8, 1945, gave rise to the poetic expressions and literary ink of writers, given the tragedy caused by the ruthless French enemy who failed to comprehend the language of peace. Algerians had taken to the streets chanting victory after the end of World War II, only to face colonial bullets that claimed the lives of tens of thousands of innocent people. They tasted the bitterness of bloodshed and destruction, prompting the Algerian poet to immortalize this painful memory in the struggle of Algeria, led by the martyr poet Abdelkarim EL AGGOUNE. He eloquently described and expressed the atrocities with all his emotions. This paper aims to explore the mechanisms of stylistic displacement and rhetorical turmoil in his poem "The Universe Constricted by Every Unjust Rule," written in response to these heinous massacres, published in the newspaper Al-Basaaer, issue 155, in the year 1951. This is done by studying evidence and samples from his poem, and this is done on three levels of shift: metaphor as a manifestation of shift and focusing on its graphic part that is different from the old vision, as well as simile as a manifestation of shift, and finally metonymy as a manifestation of shift.

Keywords: Algeria, French colonization, May 8 massacres, freedom, stylistic displacement.

1.مقدمة:

حلّت على الجزائر مصائب كثيرة سبّبها الاستعمار الفرنسي اللّئيم والمجرّد من كلّ إنسانية، وأهمّها على الإطلاق مجازر الثامن مايو 1945 حينما خرج الجزائريون يهتفون بالنصر الذي بات قريبا على إثر انتهاء الحرب العالمية الثانية وبالتالي انتهاء حقبة الاستعمار الفرنسي الذي طال وجوده في أرض الأجداد. لكنّه لم يلبث طويلا حتّى قابلته العساكر الفرنسية بالرّصاص المدوّي فسقط عشرات الآلاف واستشهدوا. فوقف الشاعر الجزائري مخلّدا هذه الذكرى المؤلمة من تاريخ الجزائر الحافل بالكفاح والنضال تارة مترحما على أرواحهم الطّيبة داعيا الله لهم بالرحمة والسكينة وبجنان الخلد، وتارة أخرى يقف مفتخرا بهذه البطولة التي أبداها الشعب الجزائري الباسل. ووصف كلّ وسائل الدّمار والتقتيل والإعدام، وكيف صبّ هذا العدو بطشه وتنكيله على الأبرياء من النساء والشيوخ والأطفال والعزل وانتهاك أعراض الجزائر. وسنسعى في مداخلتنا هذه الوقوف عند

آليات الانزياح وافتتان العبارة وجمالها في قصيدة "الكون ضاق بكل حكم جائر" لعبد الكريم العقون"* التي كتبها على إثر هذه المجازر الشنعاء **بجريدة البصائر العدد 155 سنة 1951**.

وممّا لا ريب فيه أنّ الكتابة الشعرية تشكّل مجموعة من مدارات تحايل الشاعر على اللّغة كما تتوق إلى ممارسة وجودها عبر مغمرة تغدر بمنطق العقل، وبذلك تحمل معاني الجمال فيقبلها المتلقي ويتلذّذ بها دون العودة إلى مستويات الحساب اللّغوي الاعتيادية. فالشاعر وبين الحين والآخر يقرّر مخالفة قواعد الاستخدام اللّغوي والكلامي ليطبع لغته بملامح جمالية شعرية ويمنحها قيمة فنّية إضافية تحيل القارئ إلى الغرابة والإدهاش والمفاجأة. فالانزياح وسيلة من وسائل الأسلوبية، إذ تدرس النّص الشعري على أنّه لغة مخالفة للمألوف والعادي، وتجعل من النّص منفلتا من القيود ومتعدّدا في عناصر سياقه الجمالية إذ يتوفّر فيها التنوّع الكلامي والأسلوبي الضّروري قصد استمالة الآخر والتأثير فيه، والسعي قدما نحو الاجتهاد في إقناعه من خلال توظيف ما تسعفه به اللّغة والأسلوب وسائر السّياقات المتباينة.

2. الانزياح الأسلوبي:

تشكّل ظاهرة الانزياح أهمية كبيرة في الدّراسات الأدبية والنقدية، حتى أصبحت ظاهرة أسلوبية أساسية تعتني بدراسة النّص الأدبي على أنّه لغة مخالفة للمألوف والعادي من الكلام. وتعدّدت المصطلحات التي أُطلقت على هذه الظاهرة ولا يمكن حتى حصرها منها: الانحراف، الاتّساع، التوسّع، الاجترار، المجاورة، الابتعاد، التشويش، الازورار، العدول ... وعادة ما يستخدم النقاد مصطلح الانزياح لأنّه الأكثر شيوعا كما يستخدمون أيضا مصطلح الانحراف لأنّه يفي نفس الغرض أي العدول عن المعنى الحقيقي والمألوف للكلمة

* عبد الكريم العقون: من مواليد قرية لعقاقنة بضواحي برج الغدير ولاية برج بوعريريج سنة 1918، حفظ القرآن وفنون التجويد وتعلّم أصول الفقه والشريعة واللّغة والأدب. انتقل إلى مدينة قسنطينة سنتي 1933-1934 وتتلمذ على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس، ومنها ارتحل إلى تونس ودرس بجامع الزيتونة ويعود منها بشهادة التحصيل سنة 1936. وكان عضوا بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ونشط في اجتماعاتها وبجريدة البصائر. له عدد من القصائد المنشورة في مجلة "البصائر" ومنها: "يا رفيقي"، "تباشير الصباح"، "ذكريات وعهود"، "في مولد الربيع"، "تحية المغرب"، وله "ديوان مخطوط"، وكذا قصيدة "الكون ضاق بكل حكم جائر" وهي موضوع دراستنا، وتنوّعت موضوعات شعره بين الاتجاه الوطني والاتجاه القومي والاتجاه الذاتي، كافح الاستعمار بقلمه إلا أن أعدم سنة 1959 رحمه الله.

أو الخطاب. وسنحاول تقديم مجموعة من المفاهيم التي تنطوي ضمن مصطلح الانزياح والبداية من التعريف اللّغوي.

1.2. الانزياح لغة:

تشير المعاجم بين دفّتيها إلى أنّ مصطلح الانزياح مأخوذ من مادة (زاح، زوحا) فورد ما يلي: "نزح، كمنع وضرب، نزحا ونزوحا: بعد والبئر استقى ماءها حتى ينفذ أو يقل، ونزحت هي نزحا فهي نازح ونزح ونزوح في البعد والبئر والنزح محركة الماء الكدر، والبئر نزح أكثر مائها، والنزيح البعيد والمنزحة بالكسر: الدلو وشبهها بمتزح ببعد ونزح به، تعني: بعد عن دياره غيبة وبعيدة، وقوم منازيح ونزح القوم: نزحت أبارهم" (الفيروزأبادي، 1988، الصفحات 1599-1600). فالانزياح في اللّغة هو زوالُ الشّيء وتنحّيه، ويكون بمعنى ذهب وتباعدَ وتوسّع واتّسع، وبذلك يكون له في اللّغة علاقة بالذهاب والتباعد والتنحّي والاتّساع، أي تغيير حالة معينة وعدم الالتزام بها، وقد ترتبط الدلالة اللغويّة بشيء غير المكان كقول: زاح عنه المرض أيْ زال عنه.

2.2. الانزياح اصطلاحا:

ومن الصّعب جدّا تحديد مفهوم جامع مانع لمصطلح الانزياح ذلك لأنّ الكثير من المجالات تستثمره، ولكنّنا سنسعى حصره في الدّراسات الأدبية والنقدية، ومن جملة التعريفات ما قدّمه "ريفاتير" (Riffaterre) الذي يشير إلى أنّ مصطلح الانزياح هو الخروج عن النمط التعبيري المتواضع عليه، ويكون خارقا للقواعد حينا ولجوءً إلى ما نُدر من الصّيغ حينا آخر. فأمّا في حالته الأولى فهو من مشمولات علم البلاغة فيقضي –إذن– تقييما بالاعتماد على أحكام معيارية، وأمّا في صورته الثانية فالبحث فيه عن مقتضيات الألسنية عامة والأسلوبية خاصة. (المسدي، 2006، صفحة 99) كما أنّه للانزياح قدرة فائقة على رسم صورة فنّية راقية للعبارة، فمنح لها لغة إيحائية خاصة بها وهو ما جعل "جان كوهن" (Jean Cohen) يطلق على هذا النّوع من اللّغة باللّغة الانزياحية (langue déviatrice) كما يشير الفرنسي "بيير جيرو" (Pierre Giroud) إلى ظاهرة تكاد تكون جديدة أطلق عليها بمصطلح الانزياح، ويرى أنّ الأسلوب هو انزياح لساني، ولكن تجدر الإشارة إلى أنّ كلمة أسلوب طُبّقت على أنواع الانزياح وعلى كلّ السّمات الخاصة في ميادين كثيرة. (رباعة، 2003، صفحة 44) فالانزياح بهذا المعنى يكون خروجا عن القاعدة اللّغوية أو الدّلالية أو التركيبية، ذلك أنّ قيمته تتأتّى من أنّه

واسطة بين اللّغة والأسلوب، فلا سبيل لصياغة الأسلوب من اللّغة إلا بالتسامح في القواعد التي تربط أنظمة اللّغة بمكوّناتها تسامحا يتّخذ شكل الخروج عن المألوف أو النمط المعتاد عليه بخرق قواعد النّظام أو انتهاك أعراف المواضعة وغيرها من التجاوزات والانتهاكات التي تضفي على الأسلوب طابع التفرّد ويُكسبه تميّزا خاصا كثيرا ما أوعزه الدّارسون إلى عبقرية المبدع وقدراته. (رشيد، 2013، صفحة ص122) ويُشبه الانزياح دلالته اللغويّة فهو الخروج عن المألوف والمعتاد، والتنحّي عن السائد والمتعارَف عليه، وهو أيضًا إضافة جماليّة ينقل المبدع من خلالها تجربته الشعوريّة للمتلقي ويعمل على التأثير فيه، وبذلك فإنّ الانزياح إذا حقّق قيمةً جمالية وتعبيرية يُعدّ خروجا عن المألوف، وتجاوزا للسائد، وخرقًا لما هو متعارف عليه، ويمكن تقسيم الانزياح إلى نوعين واضحين: الأوّل هو الانزياح الدلاليّ، ويكون في البلاغة أو الصور أو التّشبيه أو المجاز أو الاستعارة، وهو من الأنواع المؤثّرة تأثيرًا كبيرًا في القراء، والنوع الثاني هو الانزياح التركيبيّ، وهو مرتبطٌ بقوانين اللّغة والنَّظم وتركيب العبارات كالتقديم والتأخير مثلًا. (خياط، 2015، الصفحات 233-234) والملاحظ من خلال ما تقدّمنا به أعلاه أنّ الانزياح ظاهرة أسلوبية تشكّله مجموعة من النصوص المنطوقة أو المكتوبة يقوم فيها الشاعر أو الكاتب بالخروج عن ما هو مألوف عن اللغة العادية، وهو ما أشار إليه الناقد المعاصر "صالح الشتوي" الذي يشير إلى ظاهرة الانزياح قائلا: "إنّه تقنية فنّية يستخدمها الشعراء والكتّاب للتعبير عن تجاربهم الشعورية، ولم يكن خاصا بشعراء عصر معيّن، بل أصبح سمة شعراء كل زمن، أمّا تجليات الانزياح، فتتبدّى في الاستعارة وبخاصة التشخيص، وتراسل الحواس والتّضاد والتقديم والتأخير في التراكيب". (الشتوي، 2005، صفحة 86) ومن المصطلحات القريبة للانزياح والأكثر تداولا بين أوساط النقاد نجد كل من الانحراف والاتّساع والتوسّع:

فالانحراف: يعبّر عن انتهاك معيار ما والخروج عن الطّريق المستقيم، ويقوم على استعمال الألفاظ داخل الجملة استعمالا مجازيا لغرض بلاغي، ولقد أورد التراث العربي هذا المصطلح مثلما هو الحال عند "حازم القرطاجني" الذي يشير قائلا: "فأمّا يجب في طريقه الجدّ فالانحراف فيما كان من الكلام على الجدّ إلى طريقة الهزل كبير" (القرطاجني، 2007، صفحة 328) ونخلص إلى أنّ القرطاجني يُطلق على ظاهرة الخروج من الجدّ إلى الهزل واللعب انحرافا، كما أنّ النقاد أشاروا إلى أنّ هذه الظاهرة إنّما قد تشكّل عيبا وليس امتيازا في الكتابات الأدبية عامة والشعرية بخاصة، ولكن من تذوّق الشعر يسرّ على جمالية أشكال الانزياح في نص القصائد.

3. الانزياح الأسلوبي في قصيدة "الكون ضاق بكل حكم جائر" لعبد الكريم العقون":

يعتمد علم البلاغة على الفروق القائمة بين الوسائل الشعريّة والأساليب البلاغية، في حين تبحث النظرية الأسلوبية عن العامل الشعريّ والذي يتحقّق من خلال استعمال الكاتب أو المبدع أو الشاعر لمجموعة من الصور والأساليب البلاغيّة مثل التشبيه والاستعارة والكناية، أو الانحراف عن قاعدة مألوفة مثل: التقديم والتأخير أو الحذف والذكر أو غيرها من ظواهر الانحراف التي يركّز عليها علم الأسلوب. وسنسعى في هذا الجزء التطبيقي استجلاء مظاهر الانزياح الأسلوبي القائم في قصيدة "الكون ضاق بكل حكم جائر" لعبد الكريم العقون":

1.3. الانزياح الاستعاري:

تعدّ الاستعارة بصورة عامة نوعا من المجاز يُشار فيه إلى شيء ما باستعمال لفظ أو مصطلح يصف حرفيا شيئا آخر، ولها القدرة الفائقة في الكتابات الشّعرية حين تتخلّص من القيود والفواصل فهي أكثر وفاءً واستفادة لعناصر التجربة الشعرية، ووُرد في كتاب "البلاغة الواضحة": "أنّ الاستعارة من المجاز اللّغوي، وهي تشبيه حُذف أحد طرفيه وعلاقتها المشابهة، وهي قسمان: فأمّا التصريحية فهي ما صرّح فيها بلفظ المشبه به ورُمز إليه بشيء من لوازمه" (الجارم، 2012، صفحة 64). وينجح توظيف الصّورة الشعرية حينما توقع حالة الاندهاش والمفاجأة في وعي إحساس المتلقّي الذي يملك عقلا بواسطته يميّز الحقائق ويدرك الأمور، ويتحقّق ذلك عبر الكتابة الشعرية التي تحايل الشاعر على اللّغة كما تتوق إلى ممارسة تكون بمنطق العقل، وتحمل معاني الجمال والإشراق فيقبلها المتلقي دون العودة إلى معادلات الحساب اللّغوي الاعتيادية، "فالشاعر في رصده دلالة الكلمات والعبارات يبحث عمّا هو مجهول، فيستحضره ويبعث به الانزياح الذي يطبع اللّغة بملامح جمالية شعرية، وينتج ذلك حينما يقرّر المتكلّم مخالفة قواعد الاستخدام اللّغوي ليعطي عباراته قيمة جمالية". (حني، 2011، صفحة 280) وهذا الانعراج أو الانحراف –إن جاز القول– يصوّر الخطاب الأدبي بشكل غريب وغامض ولكن يمنحه القيمة الفنّية التي تدفع ذهن المتلقّي للبحث العميق عن مصدر الغرابة والإدهاش والمفاجأة في الصّورة ومحاولة تحليل الرّسالة وإرجاعها لنصابها الأصلي والطّبيعي، ومن مظاهر الانزياح في نصّنا الشعري ما يلي:

يقول الشاعر:

جدّوا فإنّ الشعب يخلع قيده * رغم الطغاة، وبالحقوق سيظفر**

وظّف الشاعر الجزائري "عبد الكريم العقون" في هذا البيت الشعري صورة استعارية بطاقاتها الحجاجية القويّة بغية إيصال المعنى وإصابة المبنى، "وتترتب الحجج في الخطاب على أساس طاقتها الحجاجية وقدرتها على الإقناع، ويقوم المرسل بترتيب المرسل الحجج على أساس دعمها لدعواه" (الجرجاني، 1988، صفحة 15)، إذ دعا أبناء وطنه إلى الجدّ والمثابرة قصد فكّ قيود الاستعمار الفرنسي الغاشم الذي طال أمده بأرض الجزائر الطّاهرة، وبالرّغم من قساوته واستخدامه لكلّ وسائل القمع والدّمار والتقتيل والإعدام فإنّ الشعب الجزائري قد قابله بكلّ قوّة ورباطة الجأش وصبر على مضض من الأيّام، وذاك هو السّبيل الأرقى لتحقيق مسار الحرية، وطريقها يكون عبر النّضال لأنّ العدو الفرنسي لا يؤمن بالسّلم، وإن كان هذا الشعب قد خُدع مرّة بأن تُمنح له الحرية والاستقلال فإنّه لن يقع في شباك الوعود المعسولة التي يدّعي بها الاستعمار مرّة أخرى.

ويقول في موضع آخر:

والكون قد لبّى نداكم مسرعا * فغدا يضمد جرحكم ويكبر**

يستحضر شاعرنا في هذا البيت صورة شعرية أخرى منحت القصيدة جمالية وقيمة فنّية، ولقد انزاح الكلام في هذا البيت عن المعيار المألوف عليه، إذ إنّه ليس من العادي أن يلبي الكون نداء من ناده واستنجد به، فشخّصه الشاعر في هيئة إنسان يسمع ويتحدّث ويلبّي النّداء، فأخذت رقعة المجاز تتّسع حدودها وتبلغ صدى بعيد المدى، فتلقى الجرح تضميدا عساه يُشفى، كما أنّ الشعب الجزائري قد تعلّم دروسا من الماضي، وأصبح مصرّا على افتكاك الحرية، لكن هذه المرّة الحرية الكاملة غير المنقوصة التي تؤخذ ولا تُعطى.

ويواصل الشاعر "عبد الكريم العقون" إدراجه لاستعارات وعبارات فاتنة تصيب الهدف وتحقّق المبتغى، ويقول في البيت الموالي:

لله ما غشي البلاد من الأذى * فالله يشهد واللّيالي تذكر**

جاء هذا البيت الشعري مخالفا للقاعدة المعمارية التي تقول بأنّ الأشياء لا يمكن لها أن تحقّق أشياءً أخرى وطموحات ذلك "أنّ سمات اللّغة الأدبية دائما ما تكون عرضة للخلخلة والتجاوز والتجاهل في حدود ذاتها التي تتطابق فيها مع اللّسان المحض واللّغة الأساسية ومع اللّغة النحوية". (بارت، 1988، صفحة 34) فالانزياح يتشكّل أيضا في الجانب اللّغوي وليس في الأدبي فحسب، وذلك حينما يتمادى الشاعر في تجاوز الأمر العادي إلى الانحراف والانفلات من سلطة المألوف والمعتاد عليه وذلك قصد تحقيق هدف جماليّ على مستوى البناء والدّلالة. ويشير الشاعر في هذا البيت إلى أنّ الله عزّ وجلّ حريص على حماية المستحقر والمستضعف في هذه الأرض، وأنّه شاهد على هذا الأذى الذي سبّبه الاستعمار الفرنسي، ووعد كلّ من ضحى في سبيل وطنه ودينه وعرضه وشرفه مقاما رفيعا عنده، وهو الذي يقول في تنزيله الحكيم: "وَلاَ تَحسَبَنَّ الَّذِينَ قُتْلُوا في سَبِيلِ الله أمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبّهِمْ يُرْزَقُونَ" الآية 169 من سورة آل عمران. ومن هنا سيشعر الشهيد بجوّ مفعم بالروحانية العالية لأنّه سيلقى ربّه وسيقيم في جنانه العليا. وشخّص الشاعر في هذا البيت اللّيل في هيئة إنسان يستردّ الذكريات ويسترجعها، فاللّيل حاضر في كل مكان، في الأزقة والشوارع والمدن الصغيرة والكبيرة ويحضر في الخلاء والبراري وفي الجبال المنتصبة والغابات الكثيفة ... ودوّن الشاعر معاناة شعبه الطويلة وعمّق لنا فعل الدّهر عن طريق قرينة اللّيل، فأصبح حقيقيا لا معنويا مثله مثل ذاكرة تسجّل وقائع الأحداث فإمّا هي حليمة أو أليمة.

ويقول الشاعر في موضع آخر:

ملكوا زمان الكون بالعدل الذي * في شرعة الإسلام راح يقرّر**

إنّ المتمعن في هذا البيت الشعري يلاحظ سطو صورة انزياحية تنتظر من القارئ الحذق أن ينتشل أغوارها ويجمع أجزاءها ويوحّد أشلاءها، وتظهر في الشطر الأوّل (ملكوا زمان الكون) إذ شخص المعنى قصد شرح المبنى، إذ جعل الزمان محسوسا يمكن الاستيلاء عليه والتحكّم في أهوائه، ونحن نعلم علم اليقين أنّ الإنسان مهما بلغت قوّته ودرجة علمه لا يمكن أن يتحكّم في أهواء الكون فوحده الله من يسيّره ويتحكّم فيه، والشاعر هنا ينادي شعبه ويوصيه أن يأخذ تعاليمه من شريعة الإسلام قصد التمكّن من الأعداء وأن يكونوا أوفياءً لوطنهم فكأنّما الشاعر هنا يوجّه رسالة للمدرك والغافل معا ويخبرهما بأنّه من اللّزام استرداد الحرية المسلوبة.

2.3. التشبيه مظهر من مظاهر الانزياح:

استخدم الشاعر في قصيدته صورا تشبيهية مكثّفة وجاءت جلّها في سبيل إبراز القيمة العليا لأبناء الوطن الذين وقفوا ضدّ الاحتلال الفرنسي، والتشبيه من الأشكال البلاغية الأكثر انتشارا في النصوص الأدبية، ويكاد يجمع البلاغيون واللّغويون والنحويون معا أنّ التشبيه والتمثيل لفظان مترادفان. (ابن أثير، 1991، صفحة 219) والتشبيه هو "بيان أنّ شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظةً ملحوظةً وأركانها أربعة، وهي: المشبّه والمشبّه به ويسمّيان طرفي التشبيه وأداة التشبيه ووجه الشّبه ويجب أن يكون أقوى وأظهر في المشبه به منه من المشبَّه" (الجارم، 2012، صفحة 17). والشاعر في قصيدتنا هذه كان ممّن وظفوا التشبيه واهتمّوا به وفصّلوا في ضروبه.

ومن أمثلة هذا التوظيف قول الشاعر:

نشئ تجهز للكفاح تخاله * أشبال غاب في الكريهة تزأر**

ظهر التشبيه في الشطر الثاني من هذا البيت، إذ شبّه الشاعر أبناء وطنه بأشبال الغابة التي تزأر بصوت مرتفع أثناء غضبها وشعورها بالاشمئزاز من شيء معيّن، وأنّها لا تهاب شيئا يقف في طريقها، والواضح أنّ هذا التشبيه تشبيه بليغ ومعروف عنه أنّه يعتمد على المشبّه والمشبّه به دون الأداة ووجه الشبه.

ويواصل الشاعر في البت الموالي موظّفا التشبيه لقوله:

أسدٌ حمت آجامها بشجاعة * والأسد تحمي غيلها وتزمجر**

يشبّه الشاعر أبناء وطنه والذين خرجوا للتظاهر بمناسبة يوم الثامن مايو 1945 ويشاركون فرحة النصر والانتصار بأسود جموحة تحمي غيلانها وأشبالها وعرينها من الخطر المتواصل، فالجزائريون مثل تلك الأسود إذ يدافعون عن وطنهم بكلّ شجاعة وإقدام وصلابة الجسد بهدف رفع البلاء الذي سبّبته فرنسا والذي دام ما يقارب القرن ونصف القرن من الزمن. ولكنّ عشرات الآلاف منهم سقطوا تحت وابل الرّصاص الذي تطاير هنا وهناك وتتغنّى هذه المقطوعة بالشباب الذين غادروا أهلهم صوب الجهاد وبالتالي الدّفاع عن الوطن، هذا

الحبيب الغالي الذي سقط من أجله الآلاف وبل الملايين، إنها مقطوعة تتحدّث عن الحث القومي، إذ تذكّر الآخر بضرورة الفداء بالنّفس والنفيس.

ويوظّف الشاعر "عبد الكريم العقون" مرّة أخرى مصطلح الأشبال واصفا أبناء جلدته وعزيمتهم في رفع التحدّي ومجابهة قوى الظّلم والاستبداد ويقول:

أنتم غدا أشبال ذي الأسد * التي في كلّ ظلامة لا تفتر**

يصرّح الشاعر في هذا البيت بتشبيه بليغ أسقط فيه أداة التشبيه ووجه الشبه، إذ شبّه شباب الجزائر بأشبال الأسود التي لا تقبل الترويض والخضوع ولا الاستسلام وتردّ الصاع صاعين ولا تخضع للظلم والاحتقار أبدا، إنّها ميزة شعب الجزائر الأبي الذي سيردّ الاعتبار لنفسه ولن يؤمن بعد الآن بوعود فرنسا الكاذبة وهو يدرك جيّدا أنّ الشعب إذا أرادا الحياة فلا بدّ أن يستجيب القدر، والنسيج الشعري في هذا البيت امتاز بإسناد الصّفات الموصوفة فيها لأنّ صفات الشبل تكون في علو الشأن وارتفاع الدرجات وشموخ المقام. كما أنّ دافعية الشاعر في هذا البيت وحبّه لوطنه تقرّ بغد أفضل يحتفظ في وعائه أخبار الماضي لينقلها إلى الحاضر وبالتالي سيتمكّن الجيل المعاصر من الوقوف عند تلك البطولات التي ردّدها الزمان.

3.3. الكناية كمظهر من مظاهر الانزياح:

تعتبر الكناية من الصّور البيانية الأكثر تشخيصا للمعنى وللصّفات الموصوفة، ويشير "ابن جني" قائلا: "إنّما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة، وهي الاتّساع والتوكيد والكناية، فإن عدمت هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة..." (جني، 1997، صفحة 442) كما تعتبر الكناية مظهرا من مظاهر البلاغة وغاية لا يصل إليها إلا لطف طبعه ووصفت قريحته، والسرّ في بلاغتها أنّها في الكثير من الصّور تقدّم لك الحقيقة مصحوبة بدليلها والقضيّة في طيّها برهانها (الجارم، 2012، صفحة 110). فالكناية –إذن– صورة بلاغية يُستحسن توظيفها ويُستحبّ إدراجها ضمن النصوص الأدبية لاسيما الشعرية منها، وفي الكثير من الأحيان يساوي النّقاد بين المجاز والاتّساع لأنّه من المصطلحات الشائعة التي تفيد معاني الانزياح، ويرى هؤلاء أنّه في التوسّع مهارة وقدرة على منح اللّغة مجالات أوسع، فالقسم الذي فيه العدول عن الحقيقة إلى

المجاز لغير مشاركة بين المنقول والمنقول إليه لا يصحّ إلا لطلب التوسّع في الكلام، وهو بذلك سبب كافيّ لأنّه مطلوب ومستحبّ يضفي جمالا للجملة ويبثّ الرّوح في الأشياء. (حويلي، 2023، صفحة 445)

ومن الكنايات الموظّفة في نصّنا هذا قول الشاعر:

كتبوا صحائفهم بحبر من دمّ * نعم الدّماء بها الشعوب تطهر**

تظهر في هذا البيت كناية عن صفة، إذ جعل الشاعر دماء الجزائريين الغالية تُدوّن على صحائف الذاكرة مثلما يدوّن القلم الكتابة على الورق والجدران، وأنّ هذه الدّماء عزيزة ولا شكّ أنّ الأقلام سترصد الأحداث وتتغنّى بنضال شعبها فمنهم من أستشهد في المعركة ومنهم من سجن وأعدم ومنهم من نفي إلى أتراب لا يُعرف عنها شيء. فالشاعر ها هنا يوجّه رسالة من العيار الثقيل للقارئ وهي أنّ دماء الجزائريين لم تذهب هدرا كما يمكن أن يعتقد الكثير، بل راحت قربانا وفداءً لوطنهم الغالي ومن أجل أن تحيا الجزائر حرّة مستقلّة.

ويقول "عبد الكريم العقون" في موضع آخر:

سكنوا القلوب بصدقهم ونضالهم * وطموحهم للمجد صبح مسفر.**

تظهر في هذا البيت كناية تلويحية، إذ إنّ الشاعر كنى عن إكبار النّاس والعامة للشهداء الأبرار ممّن سقط بمدن خراطة وقالمة وبجاية وسطيف وغيرها ... فالكناية بهذا المعنى تُرسم في صور المحسّنات ولا شكّ أنّ هذه خاصة الفنون، فإنّ المصوّر مثلا وحينما يريد أن يرسم لك صورة للأمل واليأس معا بهرك وجعلك ترى ما كنت تعجز عن التعبير عنه بشكل واضح وملموح، فالشاعر بذلك يخاطب المعنويات لا المحسوسات. ويُحيل هذا البيت إلى صفات الصّدق في نضال كلّ جزائري أراد أن ينعم بالاستقلال، فلا نفاق سُجّل عندهم وشقاق بل كانوا في صفّ واحد مثابرين بغية تحقيق العزّ والكرامة فالكناية هنا لديها مهارة وقدرة على منح اللّغة مجالات أوسع.

ويواصل الشاعر توظيفه لكناية أخرى إذ يقول:

ما ضرّهم سجن ولا نفي * ولا موت كذلك الحرّ لا يتغيّر**

استخدم شاعرنا "عبد الكريم العقون" في هذا البيت كلّ أدوات الخطاب الشعري لينقل لنا صورة معبّرة عن شبان الجزائر ممّن سجنوا وعذّبوا وقُتلوا وهم لا يخافون الموت ولا يهابونها لأنّهم يدركون أنّ الشهيد حبيب الله وسيقيم بجوار الصدّيقين والعليين والصّالحين، فمن خواص الكناية أنّها تمكنك من أن تُشفي غُلتك من خصمك من غير أن تجعل له سبيلا ودون أن تخدش بمشاعرك وأحاسيسك، والبيت أعلاه كناية عن الشجاعة والعزم والصّبر على الشدائد والمحن والآلام بل والمنية أيضا.

وتظهر الكناية في موضع آخر في قوله:

ألفوا المعارك والبطولة والفداء * خاضوا غمار الموت كي يتحرّروا**

يستعين الشاعر في هذا البيت بخياله الواسع ليرسم لنا الصورة التي يواجه فيها الشعب الجزائري الموت، إذ صنع المعارك ومنها صنع البطولات والأمجاد والفداء، وتظهر الكناية في الشطر الثاني "وخاضوا غمار الموت كي يتحرّروا"، وهي كناية عن قوّة وعزيمة الشعب وإصراره في فكّ قيود الاستعمار والتخلّص منه، فالجزائر وبفضل شجاعة أبنائها وبناتها لم تخضع أبدا للأجنبي الدخيل، حتّى غدت رمزا للمقاومة والتضحيات عبر التاريخ والكلّ يشهد ببسالة المقاومة الجزائرية وارتفع صيتها في كل صوب وحدب. واستعمل الشاعر في هذا البيت عبارة (خاضوا) والتي عادة ما تُستعمل للدلالة على السير في البحر ومواجهة الأمواج العاتية التي تلتطم بالسّفن، ومقارعة الإعصار في أعالي البحار وما ذلك إلا لبلوغ المرفأ، شأنها شأن الشعب الجزائري الذي يريد الغمار من أجل بلوغ الحرية والتحرّر من قيود الاستعمار الغاشم وأضحى الشاعر بذلك المترجم الأمين لما حدث في بلده من سراء وضراء.

4. خاتمة:

ومن جملة الاستنتاجات ما يلي:

- إنّ الانزياح –وكما رأيناه– خروج التعبير عن المألوف والسائد والمتعارف عليه قياسا في الاستعمال، ويركّز على معجم اصطلاحي واسع الأفق ينطوي على: الانحراف، الاتّساع، التوسّع، الاجترار، المجاورة، الابتعاد، التشويش، الازورار، العدول ...

- يظهر لنا من خلال دراسة نماذج من علم البيان الواردة في قصيدة "الكون ضاق بكل حكم جائر" لعبد الكريم العفّون" أنّ المعنى الواحد يمكن أداؤه بأساليب عدّة وطرائق مختلفة وأنّه قد يُوضع في صور رائعة كالاستعارة والمجاز والتشبيه والكناية.

- إنّ القصيدة حافلة بأساليب الانزياح، وهو ما مكّن الشاعر من تقريب الصّورة الشعرية إلى المعنى العميق المقتصر على جهد المتلقي وطريقة توظيف ذكائه في الانفلات السريع من الاندهاش والغرابة، كما أنّ الشاعر وضع المتلقي نصب عينيه أي أمام صور تبدو حسّية، ولكنّها في الحقيقة عكس ذلك لأنّها تعتمد على عنصر الخيال الذي يصنع منه الشاعر صورة تثير انتباه السامع ودهشة المتلقّي.

- تعدّدت الصّور البيانية والبديعية في نصّ قصيدة "الكون ضاق بكل حكم جائر" ويعود ذلك إلى طبيعة النص في حدّ ذاته، إذ أحدثت الأبيات نغما موسيقيا تطرب إليه الأذن ويستحسن إليه السمع، كما تعوّل الشاعر على استخدام حروف المدّ اللّينة مثل: الواو، الألف ، الياء. وليست الكلمة في أشعار الثورة مجرّد معنى واضح الدلالة، بل إنّها تتوفّر على الجانب الإيقاعي، لأنّ الألحان الكاملة إنّما توجد بالتصويت الإنساني. إنها تقدّم جوّا انفعاليا يرتبط بالنبرة الحزينة التي لا طالما تواكب الأحداث المفجعة.

- لقد نبع الانزياح الأسلوبي في نص قصيدة "الكون ضاق بكل حكم جائر" من قدرة الشاعر في توظيف صور البيان والمحسنات بكل إتقان ويظهر ذلك من خلال تحكّمه في الخطاب الشعري، وكذا اتجاهه في خلق لغة معيارية تخرج عن الطريق المألوف وتمرّ عبر صور حسّية لتصل في نهاية المطاف إلى المتلقي الذي يستمتع ويتلذّذ بشعرية الشاعر وجمالية أبياته.

5. قائمة المراجع:

أبو الحسن، القرطاجني. (2007). *مناهج البلغاء وسراج الأدباء*. دار الكتب الشرقية. بيروت/لبنان.

الفيروزأبادي. (1988). *القاموس المحيط*. دار الحديث. القاهرة/مصر.

رولاند، بارت. (1988). *لذّة النّص*. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة/مصر.

صالح، الشتوي. (جوان, 2005) ظاهرة الانزياح الأسلوبي في شعر خالد بن يزيد الكاتب. مجلة جامعة دمشق. المجلد 21. العدد 4. الصفحات 78-97.

ضياء الدين ابن أثير. (1991). *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. دار النهضة.* القاهرة/مصر.

عبد الخالق، رشيد. (أفريل, 2013). انزياحية الحدث الأسلوبي بين التأصيل اللّغوي ومرجعية النّص. *مجلة إنسانيات*. العدد 200. الصفحات 129-108.

عبد السلام، المسدي. (2006). *الأسلوب والأسلوبية نحو بديل السني في نقد الأدب.* دار الأدب. بيروت

عبد اللطيف، حني. (أفريل, 2011). جمالية الانزياح الاستعاري في ديوان عبد القادر بطبجي مداح الأولياء الصّالحين. *الخطاب* . العدد08. الصفحات 300-277.

عثمان، ابن جني. (1997). *الخصائص.* دار الكتاب العربي. بيروت/لبنان.

علي، الجارم. (2012). *البلاغة الواضحة (البيان والمعاني والبديع).* دار الفكر. بيروت/لبنان.

محمد، الطمار. (2007). تاريخ الأدب الجزائري. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر.

موسى، رباعة. (2003). *الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها.* دار الكندي. عمّان/الأردن.

نبيل، حويلي. (جوان, 2023). تشكّل الانزياح في النّص الشعري: أراك عصيّ الدمع شيمتك الصّبر لأبي فراس الحمداني. اللغة العربية. المجلد 25، العدد 2. الصفحات 441-456.

يوسف، خياط. (2015). *معجم المصطلحات الفنّية.* دار الفرابي. بيروت/لبنان.

6. الملحق :

قصيدة "الكون ضاق بكل حكم جائر" لبعد الكريم عقون والتي قالها في ذكرى مجازر 8 مايو 1945:

ذكرى على مرّ الأيام تكرّر *** لمجاهدين جهادهم لا ينكر

ضحّوا بأنفسهم لشعب مسلم *** والنفس أنجع للفداء وأجدر

وسعوا لشعب طامح متطلع *** رام الحياة طليقة تتنوّر

المخلصون لدينهم ولشعبهم *** والثابتون على العواصف تجأر

كتبوا صحائفهم بحبر من دم *** نعم الدماء بها الشعوب تطهّر

سكنوا القلوب بصدقهم ونضالهم *** وطموحهم للمجد صبح مسفر

ركب تقدّ م للسباق يحثه *** إيمانه وإلى الحقوق مشمر

لاينثني عن عزمه في سيره *** كي ما ينال مراده أو يعذر

ما ضرّهم سجن و لا نفي *** ولا مو ت كذاك الحرّ لا يتغيّر

ألفوا المعارك والبطولة والفداء *** خاضوا غمار الموت كي يتحرّروا

نشء تجهز للكفاح تخاله *** أشبال غاب في الكريهة تزأر

أسد حمت آجامها بشجاعة *** والأسد تحمي غيلها وتزمجر (الطمار، 2007، صفحة 277)